أسباب تعاطي المخدرات

ما شُربت الخمور فجأة، وما انخرط في سلك الإدمان شاب في لحظة ، إنما وراء ذلك أمور كثيرة، فتعالوا بنا لنعرف أسباب التعاطي لنحاول إغلاق باب المآسي:

السبب الأول: وهو أعظمها، ضعف الوازع الديني، فبالدين نحافظ على أنفسنا وأعراضنا وأموالنا، وبالدين تصلح حياتنا وبالدين نختلف بل نتميز عن غيرنا ممن كفروا بالله ربنا، وبالدين نعيش سعداء متحابين.

فإذا ضاع الدين لدى الإنسان فليبشر بالتعاسة والحرمان والذل والهوان. لما كان للمدمنين نصيب من الإيمان كانوا في عزٍّ وأمان، وفي راحة واطمئنان، ولكن لما ضعف دينهم أصبحوا عبيدًا للشهوة، مرضاء غفلة، تنهشهم الفتن من كل مكان، بحثوا عن السعادة جاهدين فما وجدوها بزعمهم إلا عند حفنةٍ من المروجين، فباعوا دينهم بدنيا، وآثروا المعصية على التقوى، وكل جرح يندمل إلا جرح الدين.

وكل كسرٍ لعل الله جابرهُ وما لكسر قناة الدين جبرانُ

وصدق رسول الله ﷺ: «... **ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**» [رواه البخاري ومسلم وغيرهما].

نشرت جريدة الجزيرة في عددها الصادر يوم الثلاثاء العاشر من شهر رجب ١٤٢٣هـ قصة رجل مدمن حللته المخدرات من دينه، ونكصته حتى تجرد من إنسانيته، تروي القصة زوجته المحطمة فتقول

بعد أن كتبت بالدموع كلامًا طويلاً تسوقه من داخل إحدى المستشفيات المتخصصة في علاج الإدمان. تزوجته وكدت أطير من الفرحة وسط سعادة كبيرة غامرة، كان مشهودًا له بطيب القلب ودماثة الخلق والتمسك بالدين، وأنجبنا أطفالاً، ولكن دخل علينا داخل نغَّص علينا الحياة الهانئة فجعلها حياة عائمة، إنه داخل الشر الحشيش والمخدر، ووجدت حبوبًا تحت الفراش جعلت الشكوك تساورني، أصبح يخرج كثيرًا من البيت، ويوهمني أنه لأجل المصلحة بأعذار غير مقنعة، وذات يوم مرضت ابنتي الصغيرة فلم أجد بُدًا من الذهاب بها إلى المستشفى بنفسي، وعندما توقفت عند موظف الاستقبال لأخذ البيانات وتسجيل اسم ابنتي ظهرت علامات الدهشة على وجه الموظف، وبعد أن سألته قال لي: اسم والد ابنتك يشبه اسم مريض موجود لدينا في المستشفى فصممت أن أراه وفعلاً رأيته ويا ليتني ما رأيته، لم أتمالك نفسي فغبت عن الوعي والناس من حولي، لقد رأيت زوجي مدمن مخدرات يهذري بإيه وهات، ظللت مع ابنتي بعد أن نوَّمت في المستشفى، وبقية أولادي عند إحدى عماتهم، وكانت العمة تلاحظ أن زوجي يصر على أخذ إحدى البنات لتؤانسه في البيت، وتقطع الغربة التي هو فيها كما يقول، وتكرر أخذه لها وذات يوم أرسلت إخوتها لإحضارها من عند أبيها لأنه لم يرجعها إلى بيت العملة ليلتين متتاليتين، ولكن حدث ما يهز الوجدان، ويكسر الخاطر والجنان، حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد وجدوا أختهم في أحضان أبيهم يفعل بها الفاحشة — الله أكبر — أب يزني ببنته، إنها المصيبة يا إخوان، صدم الأطفال وانقلبت بعد

ذلك حياتهم ولم يفيقوا إلا وهم في أحضان المخدرات مدمنين منحطين، أما أنا فقولوا علي السلام، وإن مت فدعواتكم لي بالرحمة والغفران، ويا ليتني أموت اليوم قبل الغد من هول المصيبة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

أرأيتم إذا ضاع الدين هان على الإنسان فعل كل مشين، فخذوا العبرة والعظة واحذروا الصدمة فإنها مؤلمة، وربوا أولادكم على الدين، خذوا بأيديهم إلى المساجد، اجلسوا معهم وعلِّموهم ما ينفعهم حتى يشبوا صالحين.

السبب الثاني: رفقاء السوء، فهم رأس كل أذية، وأساس كل بلية، يصحبون فيسحبون، ويضيعون ويضحكون، رفقاء السوء قوم خبثاء الطبع منتكسي الفطرة يدسون السمَّ في الدسم، ويجرعون غيرهم الألم.

اسألوا كل مدمن للمخدرات ما السبب في تعاطيك؟ وما الذي سوَّد ماضيك؟ سيقول: إنهم رفقاء السوء، سوسٌ ينخر في المجتمع — لا كثرهم الله — فشلوا في الدراسة، وتقهقروا في الوظيفة، وانتحلوا كل صفة ذميمة، فغشوا وسرقوا وأدمنوا وزنوا وقتلوا، يهدمون في أيام ما يبني في أعوام، لعل المدمن عندما تسوء به الحال يرجع فكره الوراء فيتذكر يوم كان في سعادة وراحة بال، لا هموم ولا مشاكل ولا ديون ولا أمراض.

ثم لَّما صاحبهم بدأت حياته تتدهور، فأغروه بالدخان ثم بالمخدرات ثم عقوق الوالدين، والخروج من البيت ومحاولة إيجاد المال

ولو عن طريق الحرام، وهكذا بدأ مسلسل الضياع، وربما سالت دمعته على خده وهو يستعرض شريط حياته المأساوي، وربما أتى اليوم الذي يعض فيه أصابع الندم، عندما يدخل السجن لا ليمكث فيه بعض الأيام، ولكن لينتظر السيف والقصاص، عندما يمسك بالقلم ويخط الأحرف بمداد الندم ، وهو يتجرع غصص الموت قبل حلوله؛ ليرسل إلى أبيه وأمه وزوجته رسالة يقول فيها كما قال غيره: (رفقاء السوء دمروا حياتي) أو يكتبها بلهجته العامية، (حسبي الله عليهم شلة دهوروني)، فماذا يفيد الندم؟! وهل ينفع العويل؟! فحسبنا الله ونعم الوكيل.

هذا شاب عمره عشرون سنة سافر إلى إحدى دول جنوب شرق أسيا وكان غنيًا، فأخذ يتعاطى الهيروين ومكث قرابة السنة والنصف، فتخبط في الديون والأمراض والخلاعة، فعلم أهله فأحضروه وبالقوة عالجوه وأدخلوه (مستشفى الأمل) فوجد الراحة في العلاج، وبعد فترة طويلة خرج وإذا بزملائه الأشرار يتصلون به، وفي أول جلسة له معهم أعطوه كمية من المخدر فتعاطاها فمات في ساعته.

إذًا بات من الواجب على كل أب أن يعرف من هم أصحاب أولاده بداية من المدرسة والشارع، فيبعده عن السيئين ويحذره من الطائشين، ومن مصاحبة المدخنين حتى ولو كانوا من أقرب الأقربين، فأكثر المدمنين كانت بدايتهم بهذا الشر الوبيل، فإذا كانت الخمر هي أم الخبائث فإن الدخان هو أبوها.

إن مجالس يجلس فيها الشباب على الدخان ولعب الورق والدش

هي بوابة المخدرات، وإن بعض هذه المجالس يحدثنا شاهدٌ من أهلها، أن بعض الشباب فيها تجاوزا الدخان بل الشراب فهو موضة قديمة، فأصبحوا يلفون فيها الحشيش على هيئة السجائر، ويضعون الحبوب المخدرة في أكواب الشاي، ويوقعون بقية القطيع في حبائل المخدرات، لذا أصبحنا نرى كثيرًا من الشباب يعقون أمهاتهم، ويتمردون على آبائهم، ويفشلون في دراستهم، والسبب صحبة السوء لكن الخافي سيظهر مهما طال الزمن، والكذب حبله قصير، فما هي إلا أيام ويعرف الأب أن ابنه متعاط للمخدرات ولكن متى؟ بعد فوات الأوان.

فاحذر أيها الأب، لا تزكي ابنك، ولا تقل إنه من الصالحين، فكم رأينا ونرى ممن كانوا طيبين مسالمين أصبحوا فسقه مجرمين، والسبب: الرفقاء السيئين.

تعالت الصيحات: أدركوا الشباب من جحيم المشكلات والمخدرات، بعضهم يريد أن يتوب ويرجع ولكن ثمة عقبات أولها: الشيطان الذي يسول، ثم المروِّج الذي يموِّل، الذئب البشري قاطع طريق الحياة الهنيئة، ثم رفقاء السوء المدمنون لهذه السموم، يغرون هذا المسكين وربما أعطوه المخدرات دون مقابل لكي لا يهرب من القطيع، وربما لديهم عليه مماسك يهدِّدونه بها فيعيش معذبًا تلسعه حرارة المعصية والإجرام، وتفتك به الوساوس والأوهام، ويظل ضعيفًا من كل جهة لا يصارح أحدًا لا أبًا ولا أخًا ولا أهل خير لينقذوه من براثن الشر.

تبعثرت كلماتي لمن سأفضي شكاتي

أرى الحيـــــاة أمـــــامي غريبـــــة عـــــن حيـــــاتي
أعـيش فـي الكـون مـا لـي حـــول ســـوى نظراتـــي
فـــي الليـــل أبكـــي وأخفـــي عنـــد الضـــحى عبراتـــي
النـــاس تحقـــر حزنـــي لمـــا رأوا مـــن ثبـــاتي
ومـــا دروا أن قلبـــي تلوكـــه حســـراتي
فاضـــت دمـــوعي لتبـــدي محطـــم الأمنيـــات
يـــا قـــوم مـــا بـــي قنـــوطٌ مـــا زلـــت أســـمو بـــذاتي
رحمـــاك إنـــي حســـير أرجـــو إلهـــي نجـــاتي
الحمـــد لله قلبـــي مـــا مـــات قبـــل ممـــاتي

إذًا ضعف الوازع الديني ورفقاء السوء هما أهم أسباب الانحراف والضياع وتعاطي المخدرات، لذا تحدثت عنهما وأطلت فيهما، وهناك أسباب أخرى سأذكرها على سبيل الإيجاز لعدم الإطالة في الكتاب وهي:

السبب الثالث: الفراغ وعدم العمل، فإن الفراغ قاتل كما يقال، والوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، فإذا عاش الإنسان بدون عمل يشغل وقته وعقله ويشبع نفسه؛ فإن الأفكار تأتيه من كل مكان، وتهديه نفسه الأمارة بالسوء إلى المخدرات.

السبب الرابع: الغنى وتوافر المال، فإن بعض الآباء قد أغدقوا على أبنائهم وفتحوا لهم باب الحياة على مصراعيه، ولسان حالهم بل مقالهم «اطلب تجد» فزرعوا في نفوس أبنائهم حبَّ الراحة والكسل والدعة، فليس لديهم مجال للعمل أو التفكير أو الصبر على نكبات

الدهر، فكل شيء متوافر، وبطبيعة الحال فإن ما أتى براحةٍ وسكونٍ سيضيع بسرعة؛ لأن الإنسان لم يتعب عليه، ولم ينزل عرقه على جبينه في سبيل الحصول عليه، ولهذا تجد أمثال هؤلاء الشباب المترفين إذا توافر المال لديهم صرفوه في غير وجهه المشروع، فالبداية بالدخان ثم المخدرات، وصدق من قال:

إن الفراغ والشباب والجده مفسدة للمرء أي مفسده

السبب الخامس بعكس السابق وهو الفقر وقلة المال، فإن النفس تتوق إلى الراحة وتوافر المال وامتلاك ما يملكه الناس، وتهرب من الحاجة إلى الخلق، فهي مُرة كالعلقم، لذلك بعض الشباب يسعى جاهدًا للحصول على المال ليهرب من الفقر ومد اليد، فيهديه أحيانًا شيطانه إلى الطرق المنحرفة ومنها المتاجرة بالحبوب المخدرة لا سيما وهو يسمع من أصدقاء السوء أن صفقاتها بالآلاف بل بالملايين، فينجرف في تيار هذه السموم علَّه أن يكون غنيًا كغيره.

السبب السادس: حبُّ الاستطلاع، والإنسان بطبعه يحب التطلع والكشف عن المجهول، وبعض الشباب قد ملّ من حياته لأسباب كثيرة، فيحب أن يجرَّب مذاق الحبوب المخدرة وما هي اللذة التي يحكي عنها أصحابه المدمنون، فلمَ لا يأخذ حبةً فإذا فعل اشتاقت نفسه إلى غيرها، ثم يوهم نفسه بعد ذلك أنه لا يستطيع تركها فيتولع بها ولا يفيق إلا إذا وقع الفأس في الرأس، ويندم ولات ساعة مندم، ثم إذا لم يتدارك نفسه فإنه يهوي كما هوى غيره.

السبب السابع: القنوات الفضائية التي تبث الشر ولا تتورع عن

عرض الحرام وتحبيبه للمشاهد لا سيما الدخان، ويجعلون منه بلسم الحياة ومفتاح السعادة عن طريق الإعلانات التجارية وغيرها، فيسمع الشاب ويشاهد ويحاول الاقتناء، بل إن بعض القنوات فيها شرب للخمور صراحة دون خوف من الله، فالكأس ممتلئ وصرعى الهوى بجواره يتحادثون كالبهائم من أثر السكر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السبب الثامن: التقليد الأعمى للغرب، فإن بعض الشباب يرى أن كل ما أتى به الغرب الكافر هو الحضارة وغيره تخلف ورجعية، فيتلقفون كل جديد حتى لو كان غير مفيد، فأدى ذلك إلى الانفتاح والجري وراء الموضة ومحاكاة الغرب فيما يفعلونه من مآكل ومشارب وملابس وأمور حياتية دون تمحيص للنافع منها والضار، لذلك تورط بعض الشباب في هذه الفتنة العصرية (المخدرات) تقليدًا لغيرهم، فيا للأسف.

السبب التاسع: السفر إلى الخارج دون قيود وضوابط، فهم يسمعون عن الانفتاح، ويسمعون عن الحرية الزائفة التي هدمت أخلاق الكثيرين، وأضعفت وازعهم الديني، فذهبوا لا لحاجة ولكن بحجة السياحة، فأخذوا يشربون الخمور ويحسبون أنه لا يراهم أحد، ونسوا أن الله مطلع عليهم يعرف خفاياهم.

لذلك قيَّد أهل العلم جواز السفر إلى الدول الكافرة خاصة بشرطين: أحدهما: أن يكون السفر لحاجة ضرورية لا توجد في بلاد المسلمين كدراسة علم معين أو طلب علاج ونحو ذلك.

والثاني: القدرة على إظهار دين الإسلام والدعوة إليه، وأما من

علم من نفسه الضعف وعدم الصمود أمام الشهوات والشبهات فلا يجوز له السفر.

السبب العاشر: الرغبة في النشاط والسهر للمذاكرة أو غيرها، فيلجأ بعض الشباب – هداهم الله – إلى العقاقير التي تجلب النشاط وتقوي الذاكرة بزعمهم، وهي في الحقيقة قد تعطي نشاطًا لكنه مؤقت، ثم يعقبه الإرهاق والتعب المستمر، وقد تجرهم هذه الحبوب إلى غيرها فتتنوع في شكلها وقوتها إلى أن يتعاطى الشباب المخدرات ويدمن عليها، والعامل المساعد في ذلك هو رفقاء السوء.

السبب الحادي عشر: سوء التربية وعدم رقابة الأب لأولاده، مما يجعلهم في حياة معزولة عن أبيهم يفكرون وينفذون، وإذا فعلوا لا أحد يسأل عنهم، لذلك قيل: من أمن العقوبة أساء الأدب، فالأب في تجارته وأعماله، والأم مشغولة بالزيارات، والولد يتجرأ على الانفلات والهروب من المدرسة ومصاحبة الشباب السيئين، فيصبح هؤلاء الشباب هم الأب وهم الأم، فيقع في أحضان لا تعرف الحنان ولا الرحمة.

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
همَ الحياة وخلّفاه ذليلاً
إن اليتيم الذي تلقى له
أُمًا تخلت أو أبًا مشغولاً

السبب الثاني عشر: كون الأب قدوة سيئة لأولاده، فهذا من أكبر الوسائل المعينة على الانحراف، فإن الولد يحاول منذ صغره أن

يحاكي أفعال والده، فيتعلم من والده الكذب، ويتعلم عدم المبالاة وربما ترك الصلاة وربما شرب الدخان، وينتهي به المطاف إلى التعلق بالمخدرات، فالأب مثالٌ يحتذي به الولد، فلينتبه كل أب إلى أن كل ما يفعله مأخوذ في الاعتبار من قبل ولده، فليتق الله فيه.

السبب الثالث عشر: القسوة على الأولاد قسوة مفرطة وحرمانهم من كل شيء، فالولد لديه طاقة لا بد أن يفرغها مع مراقبته في كيفية التفريغ، ولكن حينما تحبس هذه الطاقة فإنها ستكون كامنة لا تظهر إلا متأخرة، وعندها ستنفجر عند التفريغ، لذلك نرى ونشاهد الأولاد المحرومين والمكبوتين هم أعق الأولاد لآبائهم عندما يكبرون، وسيمارسون كل شيء حتى ولو كان محرمًا ولو لأجل العناد.

نعم القسوة أحيانًا مطلوبة، والشدة مرغوبة، ولكن بضوابط.

قسا ليزدجروا ومن يك حازمًا
فليقسُ أحيانًا على من يرحمُ

أما إذا خرجت عن حدها فإنها تكون مدمرة، ومن أعظم القسوة شجار الوالدين أمام أطفالهما مما يولد مشاكل نفسية لديهم لا تحمد عُقباها في المستقبل، وبعض من تعاطوا المخدرات يعزون ذلك إلى قسوة آبائهم عليهم في الصغر.

السبب الرابع عشر: التفكك الأسري والاضطراب العائلي، فأسرة مشتتة تستيقظ على الخلافات والمشاكل، وتنام عليها كفيلة بضياع أفرادها، فولدٌ يتشاجر مع أبيه، وبنتٌ منذ سنوات لا تكلم أمها، وأخ قد هجر أخاه، وإذا اجتمعوا اجتمع الجزار والسكين

والضحية، فكيف يكون حال الأولاد وهم يرون الشتات والفوضى، فإنهم سيشربون من هذا المستنقع العكر، وسيلجؤون إلى البحث عن السعادة في غير هذه البيئة، وبالتالي سيتعاطون الدخان والمخدرات، فالتفكك الأسري بوابة إلى الإدمان.

الخامس عشر: تهاون بعض الدول والأفراد في قضية المخدرات، والسكوت على المتعاطين والمروجين بدافع العطف أو التستر عليهم لكونهم من الأقارب أو الأصحاب، وما دروا أنهم رأس الشر والفساد والجرائم بأنواعها، وكذلك عدم فرض العقوبات الصارمة والقوية على المروجين مما يتيح لهم الفرصة لإفساد الشباب والمتاجرة بالأخلاق والأعراض والأنفس.

الأسباب كثيرة هذه بعضها، فلا بد أن نتجنبها ونضع الوسائل للقضاء عليها، وهذا واجب على الجميع، كلٌّ بحسب قدرته وإمكاناته.